شرح ومناقشة بعض القضايا التي لم تأخذ حقها في المحاضرة :

1/ الشعر العربي القديم تاريخيا :

لاشك أنه لا يمكن إقامة تصورات واضحة حول الشعر العربي القديم، إلَّا بالتطرق إلى قضايا تاريخية ذات صلة بالتطور الزمني لهذا الشعر، بل وقبل ذلك لابد من التعرف على أصل أصحابه، ونعني بهم العرب :

أ/ أصل العرب وسبب تسميتهم بهذا الاسم:

*أصل العرب :

العرب إحدى الشعوب السامية، نسبة إلى سام بن نوح، مثلها مثل العبرانيين الذين يسكنون فلسطين، والحبشيين في الحبشة (أثيوبيا والصومال)، والآراميين في الشام، والآشوريين والبابليين الذين يسكنون العراق، والفينيقيين على سواحل سوريا مما يلي لبنان، وقد اختلف المؤرخون في أصل موطنهم الأول « فزعم بعضهم انها شطوط الفرات، وآخرون أنها بادية العرب، وقال غيرهم إنها أرمينية، ومنهم من رأى انها الحبش » [1]، بيد أنهم لما تكاثروا وضاقت بهم الأرض تفرقوا، فتفرعت لغتهم الأم إلى عدة لهجات تختلف باختلاف الديار والأقطار، التي حلوا بها.

*سبب تسميتهم بالعرب :

لعلماء اللغة كلام مسهب في وجه تسمية العرب بهذا الاسم ، فقيل سموا كذلك لإعراب لسانهم، أي: إيضاحه وبيانه؛ من ذلك قولهم : أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه، ولأنه أوضح الألسنة وأعربها عن المراد بوجوه من الاختصار، قال الأزهري: رجل عربي، إذا كان نسبه في العرب ثابتًا وإن لم يكن فصيحًا، وجمعه العرب. ورجل أعرابي، إذا كان بدويا صاحب نجعة وانتواء وارتياد الكلأ وتتبع مساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم، قال: والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب؛ فمن نزل البادية أو جاوز البادين فظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف، واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء.

وقد صار لفظ الأعرابي بعد الإسلام مما يراد به، الجفاء وغلظ الطبع، وكانوا يسمون ذلك في الرجل أعرابية، فيقولون للجافي منهم: ألم تترك أعرابيتك بعد؟ وبذلك خرجت الكلمة عن مطلق معنى البادية إلى معنى خاص يلازمها.

ب/ طبقات العرب:

لقد اعتاد المؤرخون على أن يقسموا العرب ثلاثة أقسام : بائدة، وعاربة، ومستعربة [2] :

---

[1] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص08.

[2] – وهناك من الدارسين من يجعل العرب قسمين: عارب بائدة وعرب باقية، والباقية تنقسم بدورها إلى قسمين : العاربة (القحطانيون) وعاربة مستعربة (العدنانيون).

***العرب البائدة:**

ويُراد بها القبائل التي بادت واندثرت أخبارها فلم يقع إلى التاريخ شيء منها، بحكم الحروب كطسم وجديس: ومسكنهم اليمامة، أو التي أهلكها الله بغضب منه كعاد، ومسكنهم الأحقاف، وثمود في الحجر، وأميم في بادية أبار بين عمان والأحقاف، وعبيل: في يثرب، والعمالقة: وهم قبائل عدة مساكنهم عمان، والحجاز وتهامة ونجد وتيماء، وجاسم: وهي قبيلة تفرعت من العماليق، « ولا نعلم عن هذه القبائل إلا أخبارا موجزة ذكرها القرآن، وأساطير مستملحة وشَّاها الرواة » [1]

***العاربة أو القحطانية:**

وهم سكان اليمن، ينسبونهم إلى يعرب من قحطان، الذي يقال : إنه أول من نطق بالعربية، وسموا عاربة، على سبيل المبالغة –كما يقال: ليل لائل، وصوم صائم، وشعر شاعر: يؤخذ من لفظه فيؤكد به– وذلك لرسوخهم في العربية كما يقولون، يقال : إنهم نزحوا من أراضي الفرات، والمشهور منهم دولتان؛ سبأٌ وحِمْيَرٌ، فأما سبأٌ « فقد ظهرت دولتهم قبل الميلاد بنحو ثمانية قرون، وقد بلغوا من الحضارة على قدر أيامهم مبلغا عظيما، فغرسوا البساتين، وأقاموا السدود، وحفروا الترع، وشادوا الهياكل والقصور » [2]، ثم نالهم ما نال غيرهم من الأمم التي كفرت بأنعم الله، فأهلكهم الله بسيل العرم –كما حكى الله قصتهم في القرآن– ثم جاء من بعدهم الحميريون؛ الذي يمتاز تاريخهم بالغموض والتفكك، ومن أشهر بطون حمير : قضاعة وكهلان؛ اللذين تفرعتا إلى بطون كثيرة، نزح أكثرها نحو الشمال (نجد والحجاز) كالأوس والخزرج وزُبيد وطيء وكندة وغيرهم.

***المستعربة أو العدنانيون:**

وكانت منازلهم في شمال شبه الجزيرة العربية في تهامة ونجد والحجاز إلى مشارف الشام والعراق، ويسمون الإسماعيليين نسبة إلى جدهم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكانوا بدوا أهل رحلة وضعن، اما سبب نسبتهم إلى عدنان، فلأن هذا الأخير من أحفاد إسماعيل، ومن ولد عدنان معدٌّ، ومن معدَّ نزار، الذي تفرعت من ولده القبائل العربية المعروفة : أنمارٌ وأيادٌ وربيعةُ ومضرُ، فأما ربيعة فأشهر بطونها بكر وتغلب، فأما مضر فوُلِد له إلياس ومن إلياس : قيس عيلان وطابخة ومدركة ، فمن قيس عيلان : هوازن وسُليم وغطفان، ومن غطفان : عبس وذبيان، ومن طابخة : ضبَّة وتميم، ومن مدركة : هُذيل وخُزيمة، ومن خُزيمة أسد وكِنانة، ومن كنانة : فهر، وفهرٌ هو قريش، التي تنسب إليه قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم .

ج/ قضية أوليات الشعر العربي في الجاهلية :

لا ريب في أن المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة؛ فليس بين أيدينا أشعار تصور أطواره الأولى؛ وحيثيات انتقاله من شكل إلى آخر، إلى أن اتضحت سماته وقسماته، إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لقصائده بتقاليدها الفنية المعقدة في الوزن والقافية وفي المعاني والموضوعات وفي الأساليب والصياغات المحكمة، وهي

---

[1] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 09.

[2] – محمد هاشم عطيه، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، مرجع سبق ذكره، ص 24.

تقاليد تلقي ستارًا صفيقًا بيننا وبين طفولة هذا الشعر ونشأته الأولى؛ فلا نكاد نعرف من ذلك شيئًا، إلا إشارات تذكر بعض من الشعراء القدماء المجهولين، الذين كانوا قبل أصحاب المعلقات، من ذلك ما قاله امرؤ القيس عن ابن خذام، الذي كان قبل امرئ القيس، ولا يعرف عنه ولا عن شعره إلا هذا البيت :

عُوجَا عَلَى الطَلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا	نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامِ

ويرى زهير بن أبي سلمى أنه والشعراء معه ما هم إلا معيدين كلام غيرهم، فيقول:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إلا مُعَارًا	أَوْ مُعَادًا مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَا

ويؤكد عنترة ذلك بقوله أن الشعراء ما تركوا شيئا إلا تناولوه، بقوله :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ	أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

إلا أن بعض الاجتهادات رأت أنَّ الشعر العربي كانت نواته الأولى النثر ممثلا في السجع ، ثم تطور ذلك فأصبح رجزا [1]، فقد كان العرب « يرتجزون على البديهة، فإذا ساروا بالإبل ارتجزوا، وإذا امتحوا الماء ارتجزوا، وإذا احتربوا وتفاخروا ارتجزوا، فكأن الرجز نمط من القول تقذفه البديهة إلى اللسان بلا عنت وحصر » [2] وهذا الكلام يعني أنَّ النثر أسبق في الوجود من الشعر، إذ إن الثاني خرج من رحم الأول، لكن السؤال الذي يطرح، إذا كان الرجز هو التطور الطبيعي للنثر المرسل (السجع)، فما هي المرحلة اللاحقة للرجز ؟

والإجابة عن هذا السؤال يرجع للتطور الطبيعي للشعر في كل أمة، وهو الانتقال به من الإطار النمطي إلى آخر تجديدي، حيث إنهم لما تمكنوا من الرجز « وألفت أسماعهم إيقاعه ركَّبوا من لغته تراكيب جديدة، وقلبوها على تراكيب مبتكرة، فانكشفت لهم أوزان، انطلقت بها الألسنة، وطربت لها القلوب » [3] وساعدهم على ذلك الغناء والحداء [4]، في حلهم وترحالهم، فترجموه بيتا أو بيتين يعبر عن حالة نفسية عابرة، أو انفعال سريع، أو فكرة عارضة،

---

[1] – الرجز : وسمي بذلك تشبيهًا بالناقة الرجزاء، وهي التي ترتعد فخذاها وترتعش، لأنه مضطرب، كثرت فيه العلل والزحافات، ودخله الشطر والجزء والنهك، فهو أكثر البحور تغيرًا، وهذا حمل بعضهم على أن يتصور فيه بذور البحور الأخرى، واعتباره أصل الشعر، وقد اعتبره العروضيون حمار الشعراء لسهولة النظم به، وقال عنه أبو العلاء المعري: ((سفساف القريض))، ووزنه هو :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن *** مستفعلن مستفعلن مستفعلن

[2] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص21.

[3] – المرجع نفسه، ص 21، 22.

[4] – يرى ابن رشيق أن التغني بالأمجاد والمكارم هو السبب في اكتشاف العرب للشعر واختراعهم لهم، فيقول : « كان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً؛ لأنهم شعروا به، أي: فطنوا » أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج01، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط05، 1981، ص 20.

وفي هذا يقول ابن سلام الجمحي : « وَلم يكن لأوائل الْعَرَب من الشِّعْر إِلَّا الأبيات يَقُولهَا الرجل فى حَاجته » [1]، ثم في مرحلة لاحقة انتقل الشعر من المقطعات إلى المطولات، ويرى ابن سلام أنَّ « أولَ من قصد القصائد [2] وَذكر الوقائع المهلهلُ بن ربيعَة التغلبي فِي قتل أَخِيه كُلَيْب وَائِل » [3]، واتضحت في شعر المعلقات؛ خاصة عند امرئ القيس، الذي هو أول من بكى واستبكى ووقف واستوقف، ووصف النساء بالبيض والمها والظباء، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وقرب مآخذ الكلام، وقيد أوابده، وأجاد الاستعارة والتشبيه والكناية، واستمرت إلى عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف —كما يرى ابن سلام –

وتتراءى لنا مطولات الشعر الجاهلي في نظام معين من المعاني والموضوعات؛ إذ نرى أصحابها يفتتحونها غالبًا بوصف الأطلال وبكاء آثار الديار، ثم يصفون رحلاتهم في الصحراء وما يركبونه من إبل وخيل، وكثيرًا ما يشبهون الناقة في سرعتها ببعض الحيوانات الوحشية، ويمضون في تصويرها، ثم يخرجون إلى الغرض من قصيدتهم مديحًا أو هجاء وفخرًا أو عتابًا واعتذارًا أو رثاء، حيث اختلفت مع المقطعات في أنها أتاحت « بأنفاسها المديدة وأوزانها العديدة أفاقا رحبة، يحلق فيها الشاعر، ليعبر عن أفكار دقيقة، وعواطف عميقة، لم تكن الأراجيز الراتبة النغم، والمقطات القليلة الأبيات قادرة على استيعابها » [4]

2/ الشعر العربي القديم جغرافيا :

مما لا شك فيها أن الأدب العربي شديد الصلة بالبيئة الجغرافية التي نشأ وترعرع فيها، « وقد كان شبه الجزيرة العربية موطنه الأول؛ فيه انطلق انطلاقته الأولى، وفيه نما وازدهر » [5]

أ / حدود شبه الجزيرة العربية :

تقع بلاد العرب في الجاهلية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتعرف بشبه الجزيرة العربية، ويحدها من الشمال بلاد الشام والعراق، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر، على نحو ثلاثة

---

[1] – محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج01، شرحه : محمد محمود شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1974، ص 26.

[2] – هناك من الباحثين من يرى أنَّ أول من أطال القصائد وهذبها الأفوه الأودي، وبعضهم يرى أنه لقيط بن يعمر الأيادي أو عمرو بن قميئة، وقد أجمل السيوطي هذا الخلاف في مزهره نقلا عن عمر بن شبة بقوله : « للشعر والشعراء أولٌ لا يُوقَفُ عليه وقد اختلف في ذلك العلماء وادَّعت القبائلُ كلّ قبيلة لشاعرها أنه الأول ولم يدّعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة لأنهم لا يُسَمون ذلك شعراً فادَّعت اليَمانية لامرئ القيس وبنو أسد لعبيد بن الأبرص وتَغْلِب لِمُهَلْهِل وبكر لعمرو بن قَمِيئة والمرقِّش الأكبر وإياد لأبي دُؤَاد قال: وزعم بعضهم أن الأفوه الأوْدِي أقدمُ من هؤلاء وأنه أول من قَصَّد القصيد قال: وهؤلاء النفر المدَّعى لهم التقدم في الشعر متقاربون لعل أقدَمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها » جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج02، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط03، ص477.

[3] – محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ج01، مصدر سبق ذكره، ص39.

[4] – غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي(قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، مرجع سبق ذكره، ص22.

[5] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، مرجع سبق ذكره، ص63.

ملايين كيلو متر مربع.

ب/ أقسامها :

كانوا قديمًا يقسمون هذه البلاد أقسامًا بحسب الارتفاع والانخفاض، وأهم الظواهر الطبيعية البارزة في شبه الجزيرة العربية هي سلسلة جبال السراة، وهي أعظم جبال العرب وأشهرها، وتخترق شبه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال، على محاذاة الساحل الغربي، فتمتد من أقصى اليمن حتى تبلغ أطراف بوادي الشام، وتقسم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام :

1/ اليمن : وسمي بهذا الاسم لوقوعه عن يمين الكعبة إذا استقبلت المشرق، وأحيانًا يسمى اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وزروعها، وهي في جنوب شبه الجزيرة العربية، وكان يشمل حضرموت ومهرة والشِّحر وهمدان ومذحج ومراد ونجران، هذه الأخيرة اعتنق أهلها النصرانية، فأراد ذو نواس إرغامهم على اليهودية فأبوا فخدَّ لهم الأخاديد وحرَّقهم بالنار (كما ذكرهم الله في سورة البروج).

2/ الحجاز : وسمي بهذا الاسم لأنه يفصل بين تهامة ونجد، ويتخلل أرض الحجاز كثبان رميلة وآكام خصبة، وهي مساكن القبائل، وحولها قرى وضياع، وبمنحدراتها توجد عيون مياه تنبت حولها بعض الحبوب ومراعي الماشية، ومن مدنها : مكة ويثرب أو المدينة ، والطائف

3/ تهامة : وهي الجزء الواقع غرب جبال السراة، التي تقسم شبه الجزيرة من الجنوب (اليمن)، ومن الشمال (الشام) قسمين، وسميت تهامة من التهم شدة الحرِّ وركود الريح، وتسمى أيضا الغور، وتهامة قسمان : تهامة اليمن وتهامة الحجاز.

/ **نجد** : وهي الواقعة شرقي جبل السراة، من أدنى حدود اليمن جنوبا إلى السماوة شمالا، وسميت نجدا لارتفاع أرضها، وهي أطيب أرض في بلاد العرب، أكثر الشعراء من ذكرها والتغني بها، وفيها أرض العالية، التي كان يحميها كُليب وائل وفيها قُتل.

5/ **العروض** : وسميت كذلك؛ لاعتراضها بين اليمن ونجد والعراق، وتشمل مع اليمامة البحرين وعُمان.

ج/ صفاتها :

مناخ الجزيرة في جملته حار شديد الحرارة، وتكثر في نجد **رياح السموم** الجنوبية التي تهب صيفًا؛ فتشوي الوجوه شيًّا، وألطف رياحها الرياح الشرقية ويسمونها **الصبا**، وأكثر شعراؤهم من ذكرها. أما **ريح الشمال** فباردة وخاصة في الشرق؛ إذ تتحول إلى صقيع في كثير من الأحيان. والأمطار عامة قليلة؛ إلا في الجنوب حيث تهطل أمطار الرياح الموسمية في الصيف، وإلا في الشمال الغربي حيث تهطل أمطار الرياح الغربية شتاء. وكثيرًا ما يتحول المطر إلى سيول جارفة في اليمن وشمالي الحجاز، وتقل الأمطار في الداخل، ومتى احتبست الأمطار جفت الأرض وأجدبت وحل الهلاك والفناء على القطعان والرِّعاء، ومن أجل ذلك كثرت عندهم الرحلة في طلب العشب والكلأ، فترحل القبيلة بإبلها وأغنامها إلى مراع جديدة.

وفي الجنوب والشرق وقرى الحجاز واليمامة تكثر الزروع والثمار وتتناثر بعض الفواكه، وقد اشتهرت اليمن وما والاها

قديمًا بأشجار اللبان والطيب والبخور، وتشتهر الطائف بالكروم، ولم يكونوا يعتمدون عليها وحدها في الخمر؛ بل كانوا يعتمدون أيضًا على مدن الشام، والنخلة أهم الأشجار في الجزيرة كلها. ويتردد على ألسنة شعراء نجد ذكر طائفة من الأزهار على رأسها العَرار والخُزَامى وطائفة من الأشجار على رأسها الغَضا والأثْل والأرْطى والسِّدر "الطَّلح" والحنظل والضَّال والسَّلم.

أما الحيوان؛ فقد صور شعراؤهم كثيرًا من أليفه مثل الخيل والإبل والأغنام ووحشيِّه مثل الأوعال والظباء والنعام والغزال والزراف وحمار الوحش وأتُنه وثور الوحش وبقره، ومثل الأسد والضبع والذئب والفهد والنمر. ودارت الطيور الجارحة على ألسنتهم مثل الحدأة والصقر والنسر والغراب، وقلما وصفوا منهلًا دون أن يذكروا القطا وهو يشبه الحمام. وذكروا كثيرًا الجراد، وتحدثوا عن النحل واشتهرت به هذيل التي كانت تعنى ببيوته وخلاياه. ومن زواحفهم الثعبان والعقرب والوَرَل والضب.

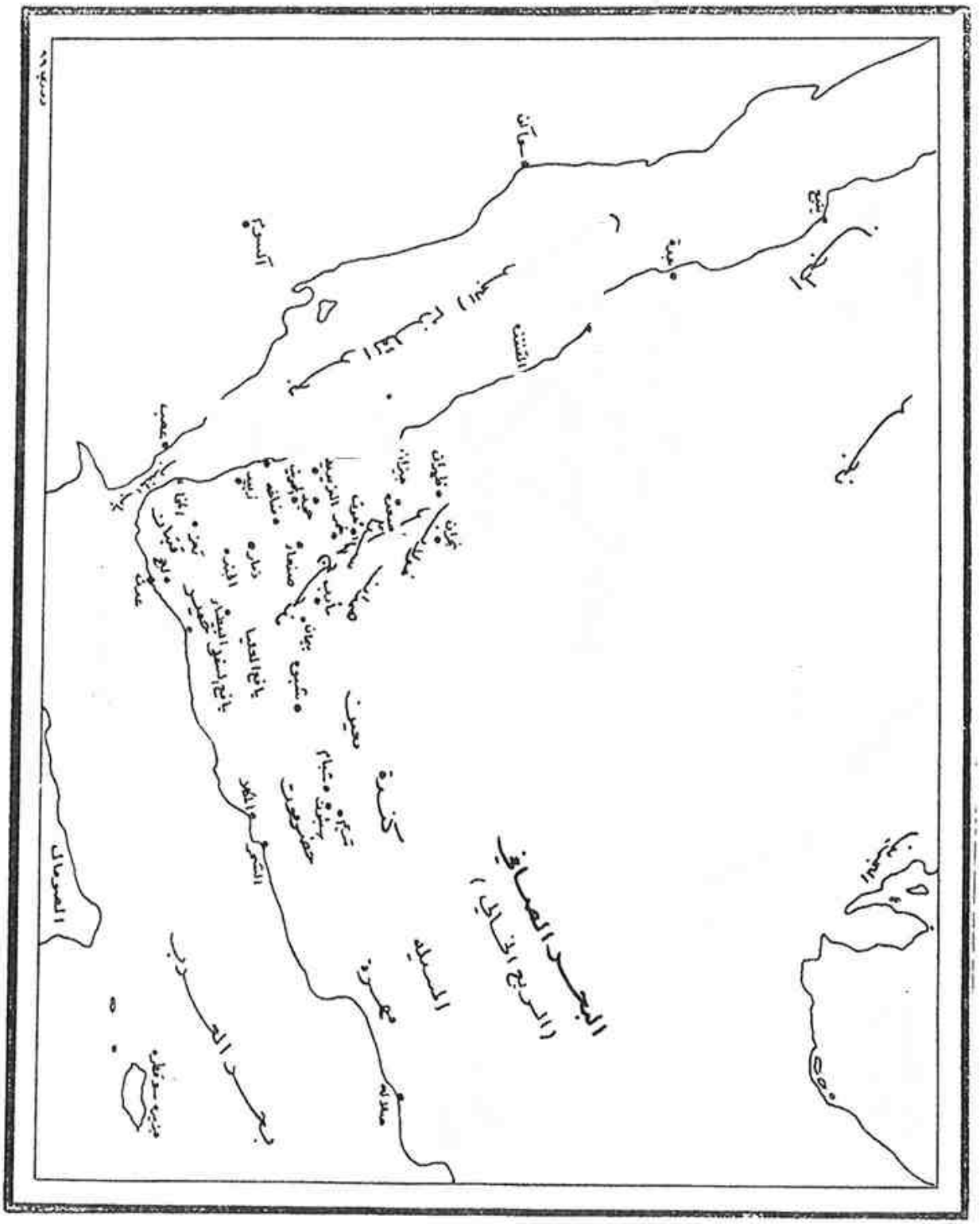

خريطة للمواقع التاريخية في شبه الجزيرة العربية